بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات في شرح صحيح الإمام البخاري

المحاضرة الأولى (١)

الخميس ، ٢٥ ربيع الآخر، ١٤٣٢هـ

ترجمة الإمام البخاري

نسبه :

هو : إمام المسلمين ، وقُدوة المُحدِّثين ، والمعوَّل عليه في أحاديث سيِّد المُرسلين ، وحافظ نظام الدين ، صاحب التصانيف ، والجيِّد من التأليف : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بـرْدِزبه اليماني الجعفي البخاري .

(بـردزبه) : كلمة فارسية تعني : (الـزَّراع) ، وكان فارسيا على دين قومه ، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي ([1])، وأتى بخارى ، فنُسِب إليه نسبة ولاء ، عملا بمذهب بعض الأحناف أن من أسلم على يده شخص كان ولاءه له ، فنسبته إلى الجعفي ولاءً لا نسبا ، فهو جعفي ولاءً ، بخاري موطناً ومسكنا .

بلدة بخارى :

إقليم في خراسان ، يعد من أشهر مدن إقليم ما وراء النهر في بلاد التركستان ، ويقع حاليا في غرب جمهورية أوزبكستان في آسيا الوسطى الإسلامية ، واسم (بخارى) : مشتق من كلمة (بخار) المغولية التي تعني العلم الكثير ، وقد سميت بهذا الاسم لوجود الكثير من العلماء فيها ، وتسمى – أيضا – بأرض النحاس ، ومدينة التجار ، وبخارى الشريفة .

وقد ظهرت بخارى في عهد الدولة الأكمينية الإيرانية (٥٥٣-٣٣٠ق.م) ، ثم استولى عليها الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد ، وصارا بخارى بعد الإسكندر تابعة لدولة الباختريين ، ثم استولى عليها الترك ، ثم الصينيون في المائة السابعة بعد الميلاد .

وقد فتح الإسلام بخارى مرتين ، الأولى في زمن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – على يد عبد الله بن زياد ، وكان ذلك في عام (٥٣هـ/٦٧٢م) ، لكن هذا الفتح لم تُسلِّم به بخارى كامل قيادها للمسلمين ، فأظهروا الإسلام وأبطنوا وأسرُّوا الوثنية ، إلى أن وَليَ الوليدُ بن عبد الملك ، وفي عهده أمر الحجاجُ قائده قتيبة بن مسلم الباهلي بفتح بلاد ما وراء النهر (٨٦هـ/٧٠٥م) ، وفتحها قتيبة فعلا (٩٠هـ/٧٠٩م) ، وبنى بها مسجدا جامعا ، وأقر أهلها بالإسلام (٩٣هـ/٧١٢م) وصارت بخارى من آنها تابعة للدولة الإسلامية ، وذاع صيتها وصيت علمائها وأدبائها وفضلائها .

لكن حينما تُذكر (بخارى) ، فلا يُذكر غالبا إلا زينتها الحَفَّاظة الإمام البخاري – رحمه الله –

[1] - ويمان الجعفي – هذا – هو جدّ المحدّث عبد الله بن محمد بن جعفر المسندي شيخ الإمام البخاري (ت٢٢٩هـ) .

مولده :

وُلد الإمام البخاري ، يوم الجمعة بعد صلاتها ، لثلاث عشر ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة بمدينة (بخارى) .

نشأته :

وُلد الإمام البخاري لأبوين يظهر صلاحهما مما يُستقرأ من بعض الروايات التي ورد فيها ذكرهما في كتب التراجم والسير .

فـوالده :

إسماعيل : كما ترجم له ابن حبان في كتاب (الثقات) من الطبقة الرابعة ، ويروي عن حماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، ويروي كذلك عن مالك بن أنس . وروى عنه : أحمد بن جعفر ، ونصر بن الحسين ..... وقد قال أحمد بن حفص سمعت إسماعيل وهو في سياقة الموت يقول : " تركت ألف ألف درهم ما أعلم فيه درهما حراما أو فيه شبهة " .

وأما أمه : فلم تحفظ لنا كُتب التراجم عنها شيئا خاصا في ترجمتها ، إلا أنه قد ظهر في رواية أو روايتين شيء من صلاحها ، فأما الرواية الأولى : أن محمد بن إسماعيل قد ذهب بصره ومُسحت عينه وهو في الخامسة أو السادسة من عمره ، فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام ، فقال لها : يا هذه قد ردَّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له " .

وأما الرواية الثانية : فهي ما ورد فيها حرص هذه المرأة وتحريض ولدها البخاري على العلم والتعلم ، فكانت

– رحمها الله – تدفع ولدها دفعا لطلب العلم وتحصيله وكانت له أبا وأما – لأن البخاري قد مات أبوه وهو في حجر أمه صغيرا – فدفعته أمه إلى الكُـتّاب لحفظ كِتاب الله ، وهو ابن سنتين أو ثلاث ، وأتم حفظ كتاب الله وهو بعد دون العاشرة .

مبدأ طلبه للعلم :

أتم الإمام البخاري حفظ كتاب الله – تعالى – وهو دون العاشرة ، ثم سلك طلب الحديث ، يقول الفربري – أحد من روى صحيح البخاري - : " سمعت محمد بن أبي حاتم يقول : " سمعت البخاري يقول : " أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب ، قلت : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال : عشر سنين ، أو أقل ..."

وبعض الروايات الثابتة الصحيحة تقول : " إن الإمام البخاري إذ كان عمره أحد عشر سنة كان قد حفظ سبعين ألف حديث " .

يقول البخاري : " ثم جعلت أختلف إلى الداخلـي – وهو من أكبر وأجلّ شيوخ الإمام ببخارى – فقال الداخلي فيما يقرأه على الناس : " سفيان عن أبي الزبير[٢] عن إبراهيم " ، فقال الإمام البخاري له : " إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم ، فانتهرني ، فقلت له : إرجع إلى الأصل ، فدخل ثم خرج ، فقال لي : كيف هو يا غلام ؟ قلت : هو : الزبير بن عدي عن

[٢] - يعني : أبي الزبير المكي محمد بن مسلم بن تادْرُس ..... و إبراهيم يعني به : إبراهيم النخعي .

إبراهيم النخعي ، فأخذ القلم وأصلحه ، وقال : صدقت ...فقال للبخاري بعض أصحابه : ابن كم كنت ؟ قال : ابن إحدى عشر سنة .

سمع البخاري في بلده من أشياخها وسادة وقته فيها ، كمحمد بن سلام البيكندي ، وعبد الله بن محمد المسندي ، وهارون بن الأشعث ، ومحمد بن زَيْـر، وطائفة ....

رحلتـــه :

رحل الإمام البخاري أول رحلة سنة عشر ومائتين وكانت في صحبة أمه وأخيه أحمد إلى الحجاز لأداء الحج ، فلما أنهوا أداء الفريضة ، رجعت أمه وأخوه أحمد إلى بخارى ، ومكث الإمام للطلب وهو ابن أربعة عشر عاما .

فسمع بمكة من الحميدي " عبد الله بن الزبير بن عيسى " صاحب المسند (ت ٢١٩هـ)، روى عن الفضيل بن عياض ، وبن عيينة ، والوليد بن مسلم ، ووكيع بن الجراح .... ورورى عنه : أبوزرعة ، والذهلي ، وبشر بن موسى .

وسمع بها – أيضا – من أبي عبد الرحمن المقريء المحدث الحجة (ت٢١٣هـ) ، روى عن مالك بن أنس ، وأبي حنيفة ، وكهمس بن الحسن .

وسمع بالمدينة من : إسماعيل بن أبي أويس (ت٢٢٦هـ) ، آخر من قرأ القرآن على يد نافع ، وهو ابن أخت الإمام مالك بن أنس .

وسمع – أيضا – من عبد العزيز الأويسي الذي حدثه عن مالك – أيضا - .

ورحل إلى مصر ، فسمع من محدث الديار المصرية آنها " سعيد بن أبي مريم " (ت٢٢٤هـ) ، والذي روى عن نافع ، ومالك ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد .

وسمع بمصر من " عبد الله بن صالح الكاتب " الذي كان كاتب الليث بن سعد وصحبه عشرين سنة .

وسمع بها من " سعيد بن تليد "

ورحل إلى بغداد فسمع من " محمد بن عيسى الطباع " ، وسريج بن النعمان ، وعفان بن معاوية .

ورحل إلى البصرة ، فسمع من " أبي عاصم النبيل " ، و " محمد بن عبد الله الأنصاري " ، و " عبد الله بن رجاء " ، وطبقتهم .

ورحل إلى نيسابور فسمع من : " يحيي بن يحيي التميمي ، و بشر بن الحكم "

ورحل إلى الكوفة فسمع من : " أبي نعيم الفضل بن دُكَين ، خلاد بن يحيي ، وعبيد الله بن موسى " .

ورحل إلى الرَّي ، فسمع من " إبراهيم بن موسى "

ورحل إلى دمشق ، فسمع من أبي مِسْهَر ، و أبي نصر الفراديسي "

وبقيسارية من " محمد بن يوسف الفريابي " .

وسمع بواسط من : " عمرو بن عون وغيره " .

ورحل إلى مرو فسمع من : " علي بن الحسين ، وعبدان ، ومعاذ بن أسد ، وصدقة بن الفضل " .

ورحل إلى بلخ ، فسمع من : " مكي بن إبراهيم ، وقتيبة ، ويحيي بن بشر " .

تحدث الإمام البخاري عن رحلته بنفسه ، فقال : " دخلت إلى الشام ، ومصر ، والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدِّثين "

طبقات شيوخ الإمام البخاري :

قسَّم أهل العلم شيوخ الإمام البخاري إلى خمس طبقات :

الأولى / كبار الشيوخ الذين انفرد بهم البخاري عن باقي أصحاب الكتب الستة ، وأفاد منهم التحديث عن التابعين أو ما يسمى بالأسانيد الثلاثية ، كأبي عاصم النبيل ، عبيد الله بن موسى ، مكي بن إبراهيم ، وخلاد بن يحيي ، أبي نعيم

الثانية / وهم من عاصر الطبقة الأولى لكن لم يسمع من ثقات التابعين كـ : سعيد بن أبي مريم ، و آدم بن أبي أياس ، وأبي مسهر .

الثالثة / وهي الوسطى من شيوخه ، ممن لم يلق التابعين ، بل أخذ عن كبار تبع الأتباع ، كـ : سليمان بن حرب ، وقتيبة بن سعيد ، ونعيم بن حماد ، وعلي بن المديني ، و أحمد بن حنبل ، و ابن راهويه ، وبن معين .

الرابعة / وهو رفقاؤه في الطلب ، ومن سمع قبله بقليل ، كـ : محمد بن يحيي الذهلي ، وكان يكبُر البخاري باثنين وعشرين سنة ، وكـ : أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن إبراهيم المسمى بـ: صاعقة ، و عبد بن حميد ... وإنما يُخرّج عن أولئك ما فاته من مشايخه أو مالم يجده عند سواهم .

الخامسة / وهم من في عداد طلبته سنا وسندا ، كعبد الله بن حماد ، و عبد الله بن أبي العاص الخزارزمي ، والقباني حسين بن محمد .

ومجمل عدة شيوخ الإمام البخاري كما يقول هو : "كتبت عن ألف وثمانين نفس ليس فيهم إلا صاحب حديث ، كانوا يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص" .

سعة حفظه وتوقد ذكاءه :

يقول سُلَيم بن مجاهد ، كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي : " لو جئتَ قبل لرأيتَ صبيا يحفظ سبعين ألف حديث ، فخرجت في طلبه فلقيته ، فقلت له : أنت الذي تقول : أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم ، وأكثر ، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي في ذلك أصل ، أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسوله .

وعن محمد بن حمدويه قال : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : " أحفظ مـائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح "

وقال محمد بن أبي حاتم ورّاق البخاري : سمعت حاشد بن إسماعيل ، وآخر يقولان : "كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له ، فقال : أنتما قد أكثرتما عليّ ، فاعرضا عليّ ما كتبتما ، فأخرجنا إليه ما كان عندنا ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نُحكِم كتبنا من حفظه ، ثم قال أترون أني أختلف هونا وأضيع أيامي ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد

ودونك لبيان سعة حفظه الرواية المشهورة في امتحان أهل بغداد له ، وما جاء فيها من أن البخاري لما دخل بغداد ، اجتمع أصحاب الحديث ، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوا إلى كل واحد منهم عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري امتحانا ، فاجتمع الناس من الغرباء من أهل خراسان ومن البغداديين يسألونه امتحانا ، فلما اطمأن المسجد بأهله بدأوافي الامتحان كل واحد يسأل البخاري عن عشرته فجعل كل واحد منهم يسأل البخاري ، والبخاري لا يزيد عن قوله لا أعرفه ، فجعل الناس يقضون عليه بالعجز وعدم المعرفة وقلة الحفظ ، وأما الفقهاء جعل كل واحد منهم ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون فقه الرجل ، فلما علم البخاري أنهم فرغوا ، التفت إلى الأول فقال : أما حديثك فقلت كذا وكذا ، وصوابه كذا وكذا ، .... ورد كل متن إلى إسناده ، وكل متن إلى إسناده على ذات الترتيب الذي ألقوه عليه حتى أتم المئة ، فأقر الناس له بالفضل ، واذعنوا له بالحفظ . يقول البن حجر مُعلقا على هذه الواقعة : " وهنا يُخضع للبخاري ، فما العجب مِن حفظه وردّه الخطأ إلى الصواب ، فإنه كان حافظا ، بل العجب مِن حفظه للخطأ على تريب ما ألقوه عليه مِن مرة واحدة ! " .

وقال أبو بكر الكلوَذاني : " ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل ، كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطّلاعة ، فيحفظ ما فيه من مرة واحدة "

وقيل للبخاري: " قال فلان عنك لا تُحسن تصلى ، فقال : لو قيل شيء من هذا ، ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خـاصة " ....

الخميس، ٠٤ جمادى الأولى، ١٤٣٢

يتبع - إن شاء الله - بقية الترجمة في المذكرة الثانية

غفر الله لي ولك

أسئلة على المحاضرة

- السؤال الأول :

اذكر نبذة عن نسب الإمام البخاري – رحمه الله – وشيئا من سيرة والديه – رحمهما الله –

- السؤال الثاني :

اذكر شيوخ الإمام البخاري مقسّما إياهم وفق طبقة كل منهم ، وكم عددهم إجمالا ؟ ومن أول من سمع البخاري الحديث ؟

- السؤال الثالث :

اذكر شيئا من رحلة الإمام البخاري – رحمه الله –

- السؤال الرابع :

اذكر طرفا من رحلة الإمام البخاري ، وشيئا من حفظه وتوقد ذكاءه .